

# من وراء البحار

## قصور السلام

كتب مستر ريتشارد جينجر في مجلة « القرن التاسع عشر » وما بعده الإنجليزية ( عدد فبراير ١٩٤٦ ) يقول إنه في ذلك الشهر أو في الشهر الذي يليه على الأكثر سيكون الاحتفال بجزاة عصبة الأمم بجنيف ، ولا يخضر هذه الجزاة غير واحد من أقرباء المتوفاة وهو بريطانيا العظمى . ولقد سبق أن نشر نعى هذه العصبة ، وألقت الخطبة على قبرها ، ألقاها السكرتير العام السابق لها الذى حذر العالم بأن العصبة لم تحقق وإنما الأمم هى التى أخفقت فى استعمالها . وهذه فكرة يجب أن نعلم النظر فيها فلاسفة السياسة ورجال الأخلاق ، وهى كذلك موضوع جدير بأن يسقط عليه الشعراء فيتخذونه رمزاً . فماذا يكون مصير قصر السلام الذى أقيم فى جنيف ، وثبت فى أرض أوروبا مع مبالغة — فيما يظهر لنا الآن — فى مظاهر الكبرياء التى يستطيعها فن البناء ؟ وماذا ينتظر أن يحدث للقصر التالى الذى يقام تحت اسم نظام الأمم المتحدة فى أمريكا ؟ هل سيكون مصير هذا القصر أيضاً أن يهجر إلى مكان أكثر أمناً ؛ مكان تحت الأرض أو قصر حقيق من الثلج على مقربة من القطب الشمالى ؟ فى فترات متعاقبة يكون السلم حائراً يبحث عن بيت جديد ، ويكون فى ذلك أشبه بالمهاجر . لعل هذه الصورة من البحث الطويل عن مسكن ترتسم أمام مصور ساخر ذى خيال بعيد كخيال الأنبياء .

## موطن رئيس الولايات المتحدة

نشرت المجلة « الوطنية الجغرافية » التى تصدر فى أمريكا ( عدد مارس سنة ١٩٤٦ ) مقالاً طريفاً عن أهل إقليم ميسورى ، وهو الاقليم الذى ولد فيه الرئيس ترومان . وهذا المقال مزين بصور عدة بعضها ملون وهى صور فى غاية الاتقان شأن كل ما يظهر فى هذه المجلة من صور ، وقد قالت إنه يسكن هذا الاقليم ثلاثة ملايين وستمائة ألف من السكان ، ولقد أرسلوا من الجند فى الحرب الأهلية الأمريكية — بين الولايات الشمالية والمجنوبة — أكثر من أى إقليم آخر إذا قيس ذلك بنسبة عدد السكان وأنشأوا تجارة واسعة فى الفراء حول نهر ميسورى . وهم قوم أشداء لا يركنون إلى الدعة بل يحبون المغامرات . وهم مزيج من مهاجرى شعوب الأرض ، فى مدينة سانت لويس مثلاً تجد عدداً كبيراً من الشرقيين إلى جانب الأوربيين . ويوصف أهل ذلك الاقليم بالحذر ، وتملك الأعصاب والتكلم ؛ فقد تجد الرجل منهم حائراً على وسام رفيع ولكنه لن يبتثك بذلك ، وإنما تقف على أمره زميله . وقد تجد الرجل فى لباس زرى فتحترقه وهو فى الحقيقة رجل ذو مكانة .

وروى الكاتب أنه كان جالساً مع مستر كنجزبرى من كبار تجار التفاح فى ذلك الاقليم ، فاذا بأحد زارعى التفاح يخرج إليهم من بين مزارعه فيتحدث معهم عن الجو ،

## من وراء البحار

والمحصول والاجور وما شابه ذلك من موضوعات ، ثم يعود إلى حقله ، فبعد أن اختفى بين الأشجار ، قال كنجزيرى : « إنه لأعقل من البوم . ( وهذا الطير يوصف في أمريكا بالمثل ) فقد رأى في أحد المزادات في الريف في الربيع الماضي كومة من ٥٥ صورة قديمة بين أدوات بالية أخرى ، فاشتراها جيماً بعشرة سنتات (الدولار مائة سنت) ثم أرسل هذه الصور القديمة إلى بائع للصور في نيويورك ، فباعها وبلغ ثمن بعضها سبعة عشر دولاراً ؛ إذ أنها كانت من تصوير كاريار وإيفز . »

## ملاحظات عن مصر

لقد أمضى الدكتور أدين كالفرلى الأستاذ بجامعة هارفرد وبرنتون ورئيس تحرير مجلة العالم الاسلامى الأمريكية سنة في القاهرة ، وأحدث حضور هذا المستشرق الكبير حركة في الأوساط العلمية . ولقد نشر أخيراً في تلك المجلة ملاحظات عن زيارته لمصر ، وهى ملاحظات كانت جديرة بالنقل إلى اللغة العربية بأجمعها لما حوته من آراء قيمة جديرة بانصاف النظر . على أننا لانستطيع هنا إلا أن نلخص هذه الملاحظات ، ويمكن الاطلاع على المقال بأكمله في عدد يناير ، وهو عدد طريف حافظ بمقالات شيقة عن مصر والشرق .

يرى الدكتور كالفرلى أن مصر الحالية تعكس ثلاثة عصور : مصر القديمة ، ومصر القرون الوسطى ، ومصر العصر الحديث ؛ فصر القديمة عجيبة بأهرامها ومبانيها وقبورها وبتأثيراتها ، وهى البلد الذى غذى بحضارته الأمم الأخرى ، والمصريون الحديثون هم سدة هذا الكنز الذى هو منبع للثروة والشرف ، كما اتسعت دائرة الاكتشافات العلمية . ومصر القرون الوسطى جميلة براقة بهيجة الألوان ، وتراها في المساجد والمنازل والآثار الباقية من عصر الفاطميين والأيوبيين . وفى القاهرة شوارع وأسواق لاتزال تحتفظ بجو تلك العصور الحالية .

ويحتفظ المصريون اليوم في لغتهم وآرائهم وعاداتهم بالكثير من طادات أسلافهم الأقدمين . وقد لا يستمر هذا الميراث أمام دفعة التربية الحديثة ، والحياة الصناعية الحديثة . ولكن بعض الصفات قائمة على الطبيعة الأساسية للشعب وللبلاد ؛ فليس من المحتمل كثيراً أن يستمر المصريون بلاداً أخرى لأنهم متعلقون بأرض وطنهم تعلقاً شديداً . ومن المرجح أن يستمر المصريون على رى الأراضى ، بل الحدائق باغراقها بالماء بدلاً من رشها ، فهم قد تعلموا من الطبيعة فيضان نهر النيل بدلاً من تساقط المطر ، ولكنهم قد يقلعون عن ترك القطط الصغيرة طعاماً للطير أو استعمال الفلاح الأجير في رفع ماء النهر لكي يفيض على الحقول .

وتوجد في المصريين أيضاً بعض العادات والآراء من ميراث القرون الوسطى جاء بها بعض المهاجرين ، أو بعض الجيوش الفاتحة ، واستوطنت في البلاد بمرور الزمن . فالمصريون الاتباط تلقوا دينهم من الخارج ، ثم مزجوه بحضارتهم وطرائقهم وصار جزءاً أساسياً منهم . والمصريون المسلمون قبلوا دين النبي العربي ، وصاروا بعقيدتهم ورغبتهم أمة عربية بين الأمم العربية ، وفى أكثر الوجوه أكبر ممثلى العالم العربي .

ولكن المصريين اليوم يعيشون أيضاً في العالم الحديث . فان الآراء والتيارات الجارية في بقية أنحاء العالم تنتم بها طائفة كبيرة من المصريين اهتماماً كبيراً ويتصلون بها ، فاذا كان

عما لا ريب فيه أن أكثر المصريين من المحافظين على التقاليد في آرائهم وطرائق تفكيرهم ، فإن هناك فريقاً كبيراً لم يكتف بقبول طرق الغرب في اللبس والمسكن ، بل هو اتخذها في نظره إلى الحياة الفردية والاجتماعية .

ولقد تعلم كثيرون من المصريين في أوروبا أو في مدارس مصرية حديثة . وبين هؤلاء عدد كبير من الفتيات ، فأراؤهم تختلف مع آراء آبائهم وإخوتهم الذين تربوا تربية قديمة . والتلميذ مزدهر الآن في مصر ، والحكومة غير قادرة على مواجهة الأقبال على التعليم . ولا يسع الباحث في المؤلفات والمطبوعات الجارية إلا أن يتعجب لمبلغ النشاط العقلي . فعدد الكتب والمجلات والصحف كبير جداً لا يحده إلا صعوبة الحصول على الورق ، وتنفد طبعات الكتب سريعاً . وهذا النشاط الفكري في مصر ليس جديداً بها ، ولكنه لم يكن قط كبيراً على هذا النحو . وقد بلغت مصر الحديثة تفوقاً على العالم الإسلامي في ميادين عدة من نواحي النشاط . فليس في بلد إسلامي آخر مثل هذا الانتاج الكبير في الأدب ، ومثل هؤلاء الكتاب في الطبقة الأولى ، ومثل هؤلاء الزعماء في مناحي الأدب . والمستقبل يبشر بمجد ثقافي أكبر عند ما تشر كنوز الماضي الثمينة وفهارس الكتب .

وفي عالم السياسة نجد مصر كذلك في الطليعة بين الشعوب المتكلمة بالعربية ، فهي العاملة على تحقيق تأليف جمعية الأمم العربية . والمصريون محبون للحرية والسلم . فن المنتظر أنهم يرغبون أن تتحقق لجيرانهم مثل هذه الحرية ، وأن يبذلوا مجهوداً سلبياً للوصول إلى هذا الغرض . وليس من الواضح لصاحب المقال أن مصر ستظل زعيمة الأمم الإسلامية في عالم الدين ، لخصر قد قبلت الآراء الحديثة في جوانب النشاط الانساني ، وحصلت على حقوق فردية واجتماعية بعد أن بذلت مجهوداً كبيراً ، ويكون من العجيب ألا تتطور في آرائها الدينية . ولقد كان لمصر في القرن الماضي زعيم ديني اعتبرت تعاليمه في عصره بعيدة في التجديد ولكن آراءه الآن محترمة وذكراه محمودة . وقد يجد الزعماء الذين ينصحون ببعض الإصلاحات التي لها علاقة بالدين كثيراً من المعارضة في بلد كصر محافظ على التقاليد ، ولكنه من المنظور أن تتقدم مصر لا على الرغم من الدين بل في حدود الدين ، حتى تتمتع بكل ما تتمتع به الأمم الحديثة .

### رحلة في سويسرا

استطاع مستر سيرل كونوللي محرر مجلة هورايزن الشهرية أن يزور بلاد سويسرا في يوليو الماضي ، وكان من أثر ذلك أن صدر عدد فبراير سنة ١٩٤٦ من هذه المجلة وكله حديث عن سويسرا ومقتسات من آراء أدبائها وشعرائها ورجال الفن فيها . وقد وصف مستر كونوللي رحلته من باريس إلى تلك البلاد في جو شديد الحرارة كما يحدث أحياناً في شهر يوليو ، فوصف هذه الرحلة بأنها حلم مزعج فيما مر به من ألوان المتاعب . فقد ظل المسافرون منذ الساعة التاسعة مساء حين بارحوا باريس إلى أن وصلوا في ظهر اليوم التالي إلى الحدود السويسرية وهم بلا ماء ولا طعام ، وكان أكثرهم واقفاً في طرقات القطار لا يجد سيلاً للجلوس ، ثم تبدت لهم نجاة ما يشبه أرض كنعان وهي تدر لبناً وعسلاً ، وهم راكبو القطار على طعام من السمك واللحم والنيذ الأبيض وأخذوا يشعرون بعد الحرمان بأنهم من السياح . ولا يقصد

بلغة السياح هنا هؤلاء الناس المدينون الذين يشك في أمرهم وكانوا يرون في القطارات العسكرية بل سياح من النوع المألوف قبل الحرب الذين يحملون أدلة السفر والصحف وعلب السجائر . وسار بهم القطار وهم يستمتعون ببجمال الطبيعة حتى بلغوا بحيرة نيوشاتل التي ذكرتهم أن ماء البحيرات قد يتخذ ألواناً في الطبيعة ، ثم أخذت الأسماء تنقلب المأينة واختفت كروم العنب ووصل المسافرون إلى برن عاصمة الاتحاد السويسرى حيث نزل مستر كونولى في أحد الفنادق ، وجلس على شرفة الفندق بعد أن كاد ينسى أن للفنادق شرفات . وأخذ يتأمل في منظر من أجل مناظر العالم حيث يطل على قمم الجبال الدائمة البياض على حين يشق الصخر في جريه السريع نهر الأركانه سيف عملاق . وكان يتناول طعام فطوره على هذه الشرفة وأمامه كمية وافرة من القهوة والفاكهة وفي يديه جريدة سويسرية ، وهو ينظر إلى أجساد المستحمين في النهر . ومن عادة أهل برن في استحمامهم أنهم يرمون بأنفسهم في الماء ويتركون للتيار حملهم فيه فيكونون كأعواد القناب . وتبدو مدينة برن لمن ذاق الحرمان خمس سنوات في إنجلترا أشبه بوهم من الأوهام بما فيها من حوانيت مزينة كأنها شجرة عيد الميلاد وما يرى في حوانيت باعة الساعات من العجائب التي تلعب بالذهب وتوقظ الرغبة في نفوس المتفرجين ، ثم حوانيت الملابس وبائى السجائر حيث تجد أنواعها بالثلاث ، ويرى المحروم من هذه الأشياء ما يدفعه في آخر الأمر إلى أن يكره هذه الحوانيت ، وليس في العالم القديم بلد أتمن صناعة الحياة مثل سويسرا حيث بلغ الاتقان عايته لذوى المال ، فالقطارات السويسرية جنات تسير على محلات ، وهى نظيفة ساكنة سريعة ذات نوافذ محكمة ، والفنادق يعجز الوصف عن ذكر محاسنها ، ومدن بلغ تناسق الأبنية فيها غايته بين الحديث والتقديم ، والاضاءات على طرق جديدة في نهاية الطرافة .

والذى يطير من لندن إلى زوريخ مثلاً يكون قد انتقل من مدينة ثلاثة أرباعها قدر غير صحى مخرب ، إلى بلدة صناعية هى أكثر بلاد أوروبا تقدماً فيها خير المساكن للعالم وأصح المصانع ، حيث تجدد هواء جيلاً يشجع على التفكير الجديد والابداع في الفن ، كما يثبت ذلك سكنى جديون ودادا وجويس ويونج هذه المدينة .

ماذا دفعت سويسرا ثمناً لهذا التقدم المادى ؟ إنها دفعت بعض الشعور بالجريمة والوحدة ، وهما ثمن لمن بقى على الحياء ، فهى لم تلق عليها القنابل ولم تنزف ولم تتخرب في سبيل الحرية مع أنها بلد حب الحرية فيه ميراث ، وذلك يوجد شعوراً بدم الرضا . وقد دفعت كذلك ثمناً داخلياً هو أن سويسرا بلد مفرق بالكاليات محتق بما فيه من ذهب ، ولكن ضرورات الحياة فيه نادرة مرتفعة الثمن .

واسترسل الكاتب في وصف أهل سويسرا الذين هم من عنصر ألماني وفرنسى وإيطالى وكيف كانوا يتطعمون إلى مونيخ أو فينا وباريس وميلانو ، وإذا هم الآن لا يجدون شيئاً . ووصف جنيف ومحاسنها ، ثم تكلم عن لوزان ، ثم وصف لوسيرن حيث تنص بالباحثين عن اللهو من لاعبي التنس والجولف والأمراء المنفيين . وقال إنها أشبه شيء بمتحف لذوى الثراء . وإنه يشعر بالرغبة كما شعر في كثير من المدن السويسرية بأن يطلق عليها جمعاً من السنغاليين السود أو من البحارة الفرنسيين أو العمال أو من نساء أمريكيات سكارى أى جماعة من أولئك الذين هم عمد للسفالة الأخلاقية الذين يسرون غير آبهين على الحشائش أو يصبقون في النقايات التي تسير بين الجبال على أسلاك معلقة في الهواء .